

شيخنا المحدث الناقد الورع الزاهد محمد يونس الجونفوري كما عرفته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، خصوصا على سيد الرسل وخاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى قادة التقى، أما بعد:

فقد طلب مني محبنا المكرم العالم المحقق درة كويت فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي - حفظه الله تعالى ورعا - أن أكتب نبذة عن شيخنا وقدوتنا محمد يونس الجونفوري الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل شهر وعن علاقتي معه، فأقول مختصرا وبالله التوفيق:

شيخنا هو الإمام العلامة البحر الفهامة المحدث الفقيه الحافظ المحقق الناقد الورع الزاهد محمد يونس بن شبير أحمد بن شير علي الجونفوري السهارنفوري.

ولد صباح يوم السبت في اليوم الثاني من شهر أكتوبر ١٩٣٧م، وهذا التاريخ ذكره الشيخ وجزم به، ولم يجزم بالتاريخ الهجري، غير أن هذا التاريخ الميلادي يوافق ٢٥ أو ٢٦ رجب ١٣٥٦هـ لا ١٣٥٥هـ كما وقع في بعض المصادر.

درس شيخنا العلوم الابتدائية على الشيخ ضياء الحق فيض آبادي، ثم التحق بجامعة مظاهر العلوم سهارنفور سنة ١٣٧٧هـ وأخذ الحديث والعلوم الشرعية عن المشايخ الكرام

ومن روى عنهم الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي والشيخ أسعد الله الرامفوري والشيخ منظور أحمد السهارنفوري والشيخ أمير أحمد الكاندهلوي والمفتي مظفر حسين وغيرهم.

وحصلت له الإجازة من الشيخ عبد الفتاح أبي غدة والشيخ عبد الله الناخبي والشيخ عبد الرحمن الكتاني والمفتي محمود حسن الجنجوهي والشيخ فخر الدين المرادآبادي والشيخ أبي الحسن علي الندوي وغيرهم.

وفي سنة ١٣٨١هـ تم تعيينه مدرسا في جامعة مظاهر العلوم سهارنفور.

وفي السنوات التابعة درّس شرح الوقاية والهداية وأصول الشاشي ونور الأنوار ومختصر المعاني ومشكاة المصابيح وسنن النسائي وسنن ابن ماجه وسنن أبي داود وصحيح مسلم والموطأ برواية يحيى بن يحيى المصمودي وبرواية محمد بن الحسن الشيباني.

وقد أعطاه الله تعالى نظرا عميقا وفهما واسعا في علوم القرآن والسنة النبوية، وكان شيخه مولانا محمد زكريا الكاندهلوي يعرف هذا ويراجعه في التحقيقات الحديثة والمسائل العلمية، كما كان الشيخ أبو الحسن علي الندوي والشيخ أبرار الحق

والمفتي محمود حسن الجنجوهي والشيخ عبد الحليم الجونفوري وغيرهم يراجعونه، وهذا دليل على تبحر علمه وعلو مكانه عند مشايخه وأقرانه.

وفي سنة ١٣٨٣هـ ترجم لشيخه محمد زكريا الكاندهلوي بالعربية، وهي مطبوعة في اليواقيت الغالية (٢: ٢٥)، قال فيها: هو الشيخ الإمام العالم العلامة الفاضل الفهامة شيخ العباد علم الزهاد رأس المتكلمين إمام المتورعين يتيمة الدهر نادرة العصر شيخ المحدثين إمام الحفاظ المتقنين، شيخنا وقدوتنا الذي قلّ ما يسمح الزمان بمثله، الثقة الثبت الحافظ الحجة الناقد مولانا محمد زكريا، ابن العلامة الذكي البارع المشار إليه بالبنان مولانا الحافظ المولوي محمد يحيى، ابن العارف الجليل مولانا محمد إسماعيل بن غلام حسين بن حكيم كريم بخش، تنتهي سلسلة نسبه إلى شيخ الأصحاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، انتهى كلام الشيخ.

ومن العجيب أن الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي أرسل إليه ورقة في سنة ١٣٨٧هـ وأمره أن يقرأها بعد مرور أربعين سنة، وإذا فيها: 'بارك الله في حياتك، وجعلك مشتغلا معنيا بالأمر الميمونة المباركة إلى فترة أطول، وحينما تبلغ السابعة والأربعين من تدريسك ستتقدّم علي وتسبقتي'.

وحكى الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بعض آراء تلميذه الشيخ الجونفوري في الأبواب والتراجم (انظر ١: ٢٦٨ و ١: ٤١٩ و ٦: ٧٨٨) وحاشية لامع الدراري (انظر ١٠: ٣١٩). واستخلفه الشيخ محمد زكريا في حياته سنة ١٣٨٨هـ وأسند إليه تدريس صحيح البخاري مع أن بعض مشايخ الشيخ كانوا أحياء، فقام به الشيخ أحسن قيام إلى أن توفي رحمه الله.

ودرّس الصحيح من سنة ١٣٨٨هـ إلى نهاية ١٤٣٨هـ خمسين مرة في الدروس الرسمية، ودرّسه في الخارج في سهارنפור وفي الحرمين الشريفين مرارا.

وسمّته يدعو الله تعالى أن يستمر في تدريس الصحيح بمظاهر العلوم سهارنפור إلى النفس الأخير، فاستجاب الله دعاءه، وكان مستجاب الدعوات.

وقد اعتنى شيخنا بالحديث الشريف اعتناءً بالغاً طول حياته. كان يقول: "ما طبع كتاب فيه مسألة حديثة إلا وقد طالعتة."

ولم يتزوج لا لمرض كما زعمه البعض، بل إنه من العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج، مثل الإمام النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني.

وله حواش نافعة - لا تكاد تجدها عند غيره - على صحيح البخاري وصحيح مسلم ومشكاة المصابيح وفتح الباري وبذل الجهود وتقريب التهذيب وغيرها من كتب الحديث وشروحه، والحق أنها ليست بحواش فقط، إنما هي الجواهر واللائي والدرر.

وقد نقل ابن أخي مولانا رشيد أحمد وزوجتي دروس الشيخ على صحيح البخاري بالأردنية من الأشرطة واستفاد منها الكثيرون لكن لم تطبع بعد.

وقد دعا لي الشيخ رحمه الله أن أدرس صحيح البخاري كاملا بدار العلوم العربية الإسلامية ببريطانيا، فاستجاب الله تعالى دعاء الشيخ، ومن الله علي بتدريس صحيح البخاري كاملا ببريطانيا خلال عشر سنين، وجمعت كثيرا من شروح الصحيح بالعربية والأردنية في مكتبي، وعلقت عليه بالعربية من الأول إلى الآخر، لكنني لم أجد أحدا في العهد القريب أعلم من شيخنا بدقائق صحيح البخاري وغوامضه.

كان - رحمه الله - يتكلم بلسان البخاري من غير تعصب ولا تحيز، كأن الإمام البخاري حاضر يتكلم. وكان يحبه كثيرا، عندما بلغه كتاب بر الوالدين للإمام البخاري لأول مرة بدأ يقبله وفرح كثيرا.

سمعتة يقول غير مرة: "صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري من معجزات محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ظهرت هذه المعجزة بعد مائتين وخمسين عاما."

وكان يقول: "البخاري أفقه خلق الله."

وكان يقول: "صحيح البخاري ليس مجموعة للأحاديث فقط، إنما هو موسوعة الإسلام (encyclopedia)."

وقال مرة: "البخاري كان رجلا ذكيا في غاية من الذكاء."

وقال مرة: "لا أستطيع أن أصف لكم مدى تعلقي مع الأحاديث النبوية."

وقبل وفاته بيوم كان يطالع مسند الإمام أحمد بن حنبل طبعة المكنز الذي أهدي إليه في الحرمين الشريفين قبل شهرين.

ولما زارنا الشيخ سنة ١٤٣٦ هـ قال لي: "شبير! - وهكذا كان يناديني دائما بالمودة واللطف - مات أقراني ورفقائي كلهم، وأنا ما كنت أظن أن أبقى حيا إلى الآن"، فقلت له: "هذا بركة الحديث، فإن أهل الحديث طويلا أعمارهم"، فقال: "نعم، هكذا."

وأنا بحمد الله تعالى التحقت بجامعة مظاهر العلوم سهارنفور في شوال سنة ١٣٩٨ هـ وتخرجت منها بعد سنتين في شعبان سنة ١٤٠٠ هـ. ثم تخصصت في الفقه على الفقيه الزاهد المفتي يحيى السهارنفوري - وهو والد شيخنا مولانا محمد سلمان مدير الجامعة حاليا - وتخرجت بعد سنة. وفي هذه السنوات الثلاثة لازمت شيخنا محدث العصر رحمه الله وكان حينئذ في عنفوان شبابه.

ووفقتي الله تعالى لخدمته والاستفادة منه، فكنت أطبخ له الطعام كل يوم ظهرا ومساء.

ووفقت بقراءة صحيح البخاري وصحيح مسلم والأوائل السنبلية والفضل المبين في مسلسلات النبي الأمين عليه، وقرأت عليه الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني مرتين.

وكان من خصائص دروسه أنه كان يشرح جميع أبواب صحيح البخاري وأحاديثه من البداية إلى النهاية شرحا وافيا كافيا بلسان طليق وكلام جامع وتحقيق مستند.

ولما جاء الأوان للرجوع إلى بريطانيا جاء الشيخ معي على ريكاشة هندية إلى محطة سهارنفور وودّعني، ولم يفعل الشيخ هكذا مع أحد فيما وقفت عليه.

كان ذا خلق حسن وأخلاق حميدة، كان يسألني عن أحوالي وأحوال والدي وأهلي وأولادي. قال لي مرة عندما زارنا في بريطانيا: ”شبير! ما كنت أريد أن أزور بريطانيا هذا العام، لكني سمعت عن مرضك فجئت لأجلك.“

وبعدما رجعت إلى بريطانيا وبدأت التدريس بدار العلوم العربية الإسلامية كنت في التواصل مع الشيخ بالبريد، وعندي كثير من رسائله بخطه إلى اليوم.

وكان يحسن إلي كثيرا. كتبت إليه مرة عن سنده للموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني، فأجاب وكتب سند الموطأ، ثم كتب: ”إني أحبك فلذا كتبت سندي للموطأ برواية يحيى بن يحيى المصمودي أيضا.“

وكان يقول لي دائما: ”لا بد أن تشتغل بتدريس الأحاديث النبوية طول حياتك.“

ولقد ذكرتُ عنده بحضرة شيخنا مولانا محمد عاقل السهارنفوري - وهو من أقرانه في الدرس - أنه يجب على كل من اشتغل بالإفتاء أن يشتغل بالحديث الشريف، فإنه يبارك له في علمه وعمله، وبذلك يسلك سبيل الاعتدال، ويعرف الصحيح من السقيم، فوافقني.

وكان الشيخ - رحمه الله - كثيرا ما يذكر ذكريات تلك السنوات الثلاثة. قال لبعض تلاميذه مرة: ”كان شبير يقرأ القرآن كثيرا لما كان عندي، وما كان يخطئ في المتشابهات.“

وقال مرة: ”كان شبير يطبخ البرياني اللذيذ.“ وبعد رجوعي إلى بريطانيا زرته مرارا في سهارنفور، وذهبت مع جميع عائلتي في سنة ١٩٩٧م إلى سهارنفور ومكثنا عنده لعدة أسابيع، وسافرنا معه إلى بلدة بانده وزرنا بيته وأقاربه في جونفور.

وفي الثمانينات مرض والده فذهب الشيخ لعيادته ورافقته.

قال لي مرة: ”شبير! والدي ذهب للحج، ادع الله أن يتوفاه هناك.“ وأتذكر كنا في الحج في الثمانينات، ففقدنا شيخنا ثم وجدناه، وأخبرنا أنه غاب عنا متعمدا لأنه كان يريد أن يحج منفردا أشعث أغبر متوكلا على الله تعالى.

والذكريات كثيرة لا تحصى.

ومن الجدير بالذكر باعتناء شيخنا بالسنة النبوية ومخالفته للبدع والمحدثات. رأيناه مرارا ينكر على من خالف السنة كخلق اللحية أو قصها ما دون القبضة.

حج أكثر من ثلاثين حجا والتزم بالسنة النبوية، كان يرمي الجمرة العقبة يوم النحر في الوقت المسنون وفي الهيئة المسنونة. حدثني خادمه محبنا مولانا يونس رنديرا أنه قيل للشيخ قبل عدة سنوات لما كان مريضاً أن يؤخر الرمي بسبب الازدحام الكثير، فأبى وقال: ”سأذهب وأرمي وإن قدر لي الموت فأنا أحب أن أموت وأنا أتبع السنة.“

وسمعت شيخنا يقول: ”الدعاء المسنون الوجيز أولى من الورد الطويل التي لم تثبت في السنة.“

وقال مرة: ”السنن فيها كل شيء وكل بركة.“

وقال مرة: ”النفوس تُركي باتباع السنة.“

وقال مرة: ”التصوف في الحقيقة اتباع السنة مع النية الصحيحة.“

وقال مرة: ”من يتبع السنة لا حاجة له أن يقلق بشأن دينه أو دنياه، فإن الله يعتني بشأنه ويحميه.“

وقرأت في تعليقاته بخطه - رغم أنه لم يتزوج - : ’الرغبة عن النكاح إن كان مجداً فكفر، وإن كانت ترجيحاً لفعله على فعل النبي صلى الله عليه وسلم من غير تأويل فهذا أيضاً كفر، فإن المؤمن لا يرجح فعله على فعل نبيه، وإن كان لسبب مرض أو شغل أو نوع من الأعذار فيعذر‘.

وحدثنا محبنا الشيخ أنور نرما أنه كان مع الشيخ في الطواف في رمضان سنة ١٩٨٧م، إذ قال الشيخ لرجل كان واضعاً يده على الحطيم: ”لا يجوز وضع الأيدي على الحطيم أثناء الطواف“، فأجاب: ”الدين يسر“، فقال الشيخ: ”اليسر ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم“، فسكت الرجل ومشى.

وكان الشيخ يبحث دائماً على الصلاة والسلام على خير الأنام، كان يقول: ”لا أحصي ما في الصلاة والسلام على أفضل الأنام من الفوائد والإنعام.“

وقال مرة: ”في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرح لكل هم ومخرج من كل ضيق، فصلوا وسلموا بالإخلاص.“

وقال مرة: ”ليس بعد قراءة القرآن وكلمة التوحيد عمل أكثر بركة من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم.“

وقال مرة: ”صلوا وسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوات ونهايتها، فيها تستجاب الدعوات.“

وقال غير مرة: ”أطعموا ضيوفكم وأكرمواهم بنية اتباع السنة لا للشهرة.“

وإنى شاهدت الشيخ - رحمه الله - لما يطوي نظارته يطوي الجانب الأيسر أولاً ثم الجانب الأيمن، وعندما يفتح نظارته يفتح الجانب الأيمن أولاً، هذا ما شاهدته ولم أسمع عن الشيخ فيه شيئاً، وأصله موجود في السنة.

وكان لا يحدث الحديث إلا على وضوء، فلما كبر واشتد مرضه ولم يستطع الوضوء في السفر كان يتيمم بالرمل ثم يحدث.

ومن الجدير بالذكر تبخّر الشيخ في علم الحديث وتعمق نظره في صحيح البخاري وشروحه وتفقهه واستحضاره من غير تعصب ولا تحيز، وإليك بعض الأمثلة:

(١) قال شيخنا في نبراس الساري (١: ٣٣) في شرح الباب الأول من الصحيح: ثم بدا لي أن إبقاء الترجمة على ظاهرها هو اللازم، فإن المصنف أراد بقوله 'بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم' إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم، فإن بدء الوحي إليه بدء لنبوته، ولإثبات نبوته ذكر قوله تعالى: إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، فإنه كما تقدم نزل تكذيباً لمن أنكر من اليهود إنزال الوحي على بشر بعد موسى، وشبه الله سبحانه وحيه بوحى نوح فمن بعده من الأنبياء تحقيقاً لنبوته، ولا وجه لحمل الترجمة على ما يتعلق بنفس الوحي، فإن المصنف لم يرده، ولذلك لم يقتصر على ذكر بدء الوحي بل زاد 'إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم'... إلى أن قال: وغرضه من الترجمة إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد بالكيفية جميع حاله صلى الله عليه وسلم صفة وزمانا ومكانا، انتهى.

(٢) وقال في بيان غرض 'باب التبرز في البيوت' (١: ٤٤٥) بعد ذكر غرض الحافظ ابن حجر والشيخ زكريا الكاندهلوي: قلت: هذا التقرير وتقرير الحافظ ابن حجر يقتضيان أن هذه الترجمة أيضا تتعلق بالنساء كالسابقة، والذي يظهر لي أن هذه الترجمة عامة، ولذلك لم يقيده المصنف بالنساء، انتهى.

(٣) وقال في شرح 'باب من لم ير الضوء إلا من المخرجين القبل والدير' (١: ٤٧٥): فأما الشراح الشافعية فيقررون الباب على وفق مذاهبهم، فظن الكرماني (٣: ١٣) وتبعه الحافظ ابن حجر والقسطلاني (١: ٢٥٨) والزين زكريا أن المؤلف إنما ذكر في هذا الباب الخارج من السبيلين لا غيره، وأن الاستثناء مقرغ، والمعنى من لم ير الضوء من مخرج من مخارج البدن إلا من المخرجين. وفيه إشكال ظاهر، فإنه لو كان مقصود المؤلف لاقتصر على ذكر نقض الخارج منها وعلى عدم نقض الخارج من غيرهما، ولكنه لم يقتصر، بل ذكر غير الخارج وأنه غير ناقض كالضحك وخلع الحف وغيرها مما هو ناقض عند بعض الأئمة، فالصواب أنه حصر النقض في الخارج من السبيلين، وأما غيره فلا يراه ناقضا سواء كان خارجا أو غير خارج، انتهى.

(٤) وقال (١: ٦٣): أما رؤية الضوء فجاء في حديث ابن عباس عند مسلم (٢: ٢٦١)، وتفرد بإخراجه كما صرح به الحميدي في الجمع بين الصحيحين، وهم صاحب المشكاة (ص ٥٢١) فزعم أنه متفق عليه، انتهى.

(٥) وقال الشيخ (١: ٦٧): وأما الاحتمال الثاني فزعم ابن حجر أن الطيبي جزم به، قال: ولم يذكر دليله. قلت: أما نسبة الجزم إلى الطيبي فوهم مخالف لنص كلامه، وأما الدليل فذكره وهو قوله "كما هو دأبه" ولكن الحافظ ابن حجر لا يسلم هذا الدليل، انتهى.

(٦) وقال (١: ١٥٣) في بحث الحدود وعدم كونها كفارة واشتراط التوبة عند بعضهم: قال الحافظ ابن حجر (١: ٦٨): وهو قول للمعتزلة، قال: ووافقهم ابن حزم ومن المفسرين البغوي وطائفة يسيرة. قلت: الحكاية عن الإمام ابن حزم وهم، فإنه صرح في المحلى (١١: ١٢٤) أن الحدود كفارة، انتهى. ونقل كلام ابن حزم.

٧) وقال (١: ٤٧٠) في بيان حكم فضلات النبي صلى الله عليه وسلم: وأما سائر فضلاته كالبول والدم والعدرة فحكى العيني عن أبي حنيفة طهارتها. وقال بعد أسطر: ولكن ما نقله العيني عن أبي حنيفة فوهم من العيني، فإني لم أجد لهذه المسألة ذكراً في كتب محمد بن الحسن: الموطأ والآثار والحجة والمبسوط والجامعين والسير الكبير والزيادات، ولا ذكره الطحاوي في المعاني والمشكل والمختصر وأحكام القرآن واختلاف العلماء، وليس هو في المتون المعتمدة كالقدوري والكنز والنافع والوقاية والمختار والتحفة والبدائع والهداية وغيرها، انتهى.

٨) وقال (١: ٨٥) في تحقيق لغوي لاسم 'عبدان': وقول الكشميري هذا غير مبني على التحقيق، والسبب في ذلك عدم وجود الكتب في ذلك الزمان. وقوله الأول كأنه مبني على ما ذكر عن محمد بن طاهر، وقوله الثاني ملخص مما ذكر عن ابن الصلاح، انتهى.

٩) وقال (١: ٢٢٨) تحت الأثر 'وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إيماني على إيمان جبريل وميكائيل': هذا الأثر وصله البخاري في تاريخه (٣: ١٣٧) تاماً بهذا اللفظ. وقال بعد أسطر: ولم يستحضر ابن رجب (١: ١٨٠) هذا الإسناد فتعجب من إيراد البخاري إياه بصيغة الجزم، انتهى.

١٠) وقال (١: ٢٠) في بحث ترك البخاري الحمد في افتتاح الكتاب: والجواب الحادي عشر أنه صنف كتب الجامع كالإيمان والعلم مثلاً في صورة أجزاء وكراريس منفردة، ثم جمعت ولم يتفق له كتابة الحمد، قال شيخنا زكريا: هذا التوجيه سمعته من الإمام البخاري في المنام. قلت: وفيه نظر، فإن الشيخ يقول: إن البخاري فرغ من تأليف الجامع سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وعلى هذا بقي البخاري بعد تأليفه وتكميله ثلاثاً وعشرين عاماً، فإنه توفي سنة ست وخمسين ومائتين، وكان الناس يقرؤون عليه كتابه هذا وهو أيضاً يسمعهم، وقد سمع عنه الفريزي على قول الكلاباذي مرتين، مرة سنة ثمان وأربعين، وأخرى سنة اثنتين وخمسين، انتهى.

١١) وقال (١: ٥٠) في بحث الاختصار في أول حديث الصحيح: ولكني وجدته في النسخة التي كتبها الشيخ إسماعيل بن علي بن محمد البقاعي تاماً، وهو قريب العصر من الحافظ ابن حجر، انتهى. ثم ذكر أن الحافظ لقيه ومدح نسخته للجامع، ثم ذكر دليلين في ثبوته تاماً، ولعلك لا تجد هذا التفصيل في مقام غير هذا فاحفظ.

١٢) وقال (١: ٤٤): هذا الحديث باعتبار متنه واحد، ولكن لتعدد طرقه يُجعل سبعة عند المصنف، فإن المحدثين يجعلون كل طريق حديثاً برأسه لتحمل المشقة في كل طريق، وليس معناه أن المحدثين زادوا في الأحاديث كما زعم بروكلمان ومن سلك مسلكه من المستشرقين، انتهى.

١٣) وقال (١: ٢٦٦) في بحث اشتراط النية في الوضوء: والثالث أن المقصود من الحديث بيان العمل الصحيح والفاقد لا الاشتراط. وهذا جواب ساقط، فالحديث تفيد الاشتراط وبيان العمل الصحيح من الفاسد والمقبول من المردود، فهذا من جوامع الكلم، ولفظ الأعمال ورد عاماً فيلزم أن يبقى اللفظ على عمومته، والله أعلم، انتهى.

١٤) وقال (١: ٤٤١) في بحث استقبال القبلة بغائط: والسابع النهي مخصوص بأهل المدينة ومن على سمتهم، وهو قول أبي عوانة صاحب المستخرج على مسلم (١: ١٧٠). هكذا نقل الحافظ ابن حجر هذا المذهب عن أبي عوانة، وهو سهو، بل ذهب أبو عوانة إلى مذهب الجمهور الأئمة الثلاثة وغيرهم. فإنه قال: بيان حظر استقبال القبلة واستدبارها بالغائط والبول والدليل على إباحة استقبالها في البيوت وإيجاب الاستقبال بهما شرقا وغربا، انتهى.

١٥) وقال (١: ٤٠٢) بعد إيراد كلام ابن القيم من كتاب الروح: وهذا الكلام لخصه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣: ٢٧٣) من غير عزوه إلى ابن القيم ولم يرد عليه، وهذا من عادة ابن حجر أنه ينقل من تحقیقات ابن تيمية وابن القيم من غير عزو إليهما، وسيأتي الكلام فيه في المواضع التي وقفت عليها، انتهى. وسمعت شيخنا يذكر أنه فعل هكذا لغلبة الأشاعرة في عصره.

١٦) وقال شيخنا: أما الذي أنكره أصحابنا فهو كفاية شاة واحدة عن أهل بيت في إقامة واجب التضحية، وهذا لم يأت به دليل وما قامت بذلك حجة، لأننا قدمنا أن الحديث محتمل بمعنى آخر، وهو التشريك في الثواب، وقضايا الأحوال إذا تطرق إليها الاحتمال سلبت الاستدلال لما يبقى فيها من الإجمال. كذا في اليواقيت الغالية (١: ٩٩).

١٧) وقال في تخریج حديث التوسعة على العيال يوم عاشوراء: والحق عندي أن الحديث معلول بجميع طرقه، والسند الذي زعمه العراقي على شرط مسلم وتبعه السخاوي والسيوطي والقاري معلول، قد نص ابن حجر في اللسان على نكارتة. وأجود طرقه عندي ما رواه البيهقي من طريق إسحاق بن راهويه بسنده عن أبي سعيد الخدري، وهو أيضا معلول للرجل المهم، فأعلى أحوال هذا الحديث أنه ضعيف، والله أعلم. كذا في اليواقيت الغالية (١: ٣٣٣).

١٨) وقال الشيخ: وأما المنبهات فلمن هي؟ فأقول: إنها ليست من مصنفات الحافظ الشهير ابن حجر العسقلاني ولا من تأليفات الشيخ ابن حجر المكي الهتمي المكي. كذا في اليواقيت الغالية (١: ٤٤١).

١٩) وقال في تحقيق الكلام المشهور لولاك لما خلقت الأفلاك: وليس شيء من الخلق سببا لتخليق الخلق، بل السبب الأصلي لذلك اتصافه تعالى بصفات عالية، فلا بد من ظهور تلك الصفات وظهور أثرها، وذلك بإيجاد الخلق، والله على ما يشاء قدير. كذا في اليواقيت الغالية (٢: ١٩٤). وقال في موضع (٢: ٢٠٥) ما معر به: لم تكن عند الملا علي القاري أسانيد هذه الروايات فلذا أحسن الظن بالمرجحين وادعى بصحة معنى الحديث، وتبعه من جاء بعده، انتهى.

٢٠) وقال في تحقيق الكلام المشهور أول ما خلق الله نوري ما معر به: ذكر القسطلاني رواية في المواهب (١: ٨٩) وعزاه إلى عبد الرزاق عن جابر مرفوعا: يا جابر، أول ما خلق الله نور نبيك. ولم أجد إسناده مع التتبع، وإغلاق الألفاظ يدل على أنه موضوع. ونقله الكثيرون اعتمادا على القسطلاني، لكنه ليس من الناقدین، انتهى ملخصا من اليواقيت الغالية (٢: ٤١٢)، وراجع (٢: ٦٥ و ٢٠٦). وجزم بوضعه السيوطي في الحاوي للفتاوي (١: ٣٢٣) وعبد الله بن محمد بن الصديق الغاري في رسالته مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر

وأحمد بن محمد بن الصديق الغماري في المعير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير (ص ٦). وحكاه عنه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في التعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة (ص ١٢٩) وأقره.

(٢١) وقال الشيخ: وهل يمثّل الشيطان بالله عز وجل (في المنام)، فيه خلاف ذكره صاحب آكام المرجان، فاختار ابن العربي واللقاني في شرح الجوهرة أنه لا يمثّل به تعالى، وذهب الإمام الكنكوهي والشيخ التهانوي أنه يمثّل به. كذا في تعليقاته على الصحيح.

(٢٢) وقال في رسالته الوجيزة المسمى بـ مسامحات الإمام الحافظ ابن حجر في فتح الباري وغيره: قال رحمه الله في الفتح (١١: ٣٦٠) في آخر 'باب يدخلون الجنة سبعون ألفا بغير حساب' من كتاب الرقاق: تنبيه: هذه الأحاديث تخص عموم الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي برزة الأسلمي رفعه: 'لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أفقه'. قلت: لم أجده في مسلم، بل رواه الترمذي في الزهد والدارمي (ص ٧٢) في العلم، ولم يذكر صاحب الذخائر (٣: ١٤٣) في أطراف الستة إلا الترمذي، وكذا اكتفى الحافظ المنذري في الترغيب (١: ٣٧) في 'باب الترهيب من أن يعلم ولا يعمل' بعزوه إلى الترمذي (وكذا في فصل ذكر الحساب وغيره في أواخر الترغيب ٢: ٢٩٧)، فقال: رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وكذا عزاه إليه الزرقاني في شرح المواهب (٨: ٣٨٤). ووهم القسطلاني فعزاه في المواهب إلى الترمذي من حديث أبي هريرة، وهو فيه من حديث أبي برزة. كذا في اليواقيت الغالية (٢: ٣٥٠).

(٢٣) وقال الشيخ: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، هذا حديث لا يثبت، والبسط في اليواقيت الغالية (٢: ٥٣٣).

(٢٤) وقال في شرح قول الله عز وجل 'وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين' وبيان مذاهب العلماء في وجوب الفدية على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة الذين يشق عليهما الصوم مشقة لا تحتمل: والذي يظهر لي أن الفدية لا تجب لأنه فرع الصوم، وهو لا يجب فكذا فرعه كما تقدم، ولكن الأحوط أن يفتدي خروجاً من الخلاف. كذا في اليواقيت الغالية (٣: ٢٧٩).

(٢٥) وقال: هل صحيح مسلم جامع أم لا؟ اختلف فيه كما ذكره مسند الوقت المحدث الكبير الشاه عبد العزيز الدهلوي في العجالة النافعة، واشتهر عن القدماء إطلاق المسند الصحيح، وقد ثبت ذلك عن مسلم نفسه، نقله الخطيب، وكذا أطلق عليه المسند الصحيح الحاكم في علوم الحديث وفي المدخل له والخطيب في التاريخ (١٣: ١٠٠)، وأطلق عليه لفظ الجامع البغوي في خطبة المصاييح والفيروزآبادي وأبو إسماعيل الأنصاري في ذم الكلام (٣: ١٢٥) والحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٠: ١٢٧ و ٩: ٣٥٠) وملا كاتب چلبی في كشف الظنون وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين ومحمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة وإبراهيم الكوراني في الأمم ومحمد بن إبراهيم الوزير في العواصم في كتاب الأدب وعبد الغني البحراني في قرة العين. كذا في اليواقيت الغالية (٣: ٣٢٥).

(٢٦) وقال الشيخ: وهذا الذي ذكره السنوسي هو الذي مشى عليه الكشميري وآخرون، ولكن صرح أبو نعيم الأصبهاني في مستخرجه على مسلم والقاضي عياض (٢: ١٦٠) والجمال الزيلعي (٢: ٥٩ و ٦٦) وآخرون بنسبة التراجم إلى مسلم، وكأنه هو الأقرب، والله أعلم. كذا في اليواقيت الغالية (٣: ٣٣٥).

(٢٧) وقال الشيخ: وأعلى ما يقع لمسلم في صحيحه الرباعي. وأما الثلاثي فلم يقع له في صحيحه، وإنما وقعت الثلاثيات للبخاري وهي اثنان وعشرون حديثاً. وللترمذي^١ في جامعه حديث واحد وهو حديث أنس: يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كلقابض على الحجر، وإسناده ضعيف، وزعم بعضهم أنه ثنائي وهو غلط. ولاين ماجه خمسة أحاديث^٢ بسند واحد عن جبارة بن المغلس وهو ضعيف عن كثير بن مسلم الضبي وهو ضعيف أيضاً عن أنس. ولم يقع لبقية الستة حديث ثلاثي. ولأبي داود حديث واحد في السؤال عن الحوض^٣ من الرباعيات الملحقة بالثلاثيات، وهي تابعي عن تابعي عن الصحابي أو صحابي عن صحابي، فيحسب التابعيان أو الصحابيان في درجة واحدة، فهما اثنان في حكم الواحد، فإذا كان معهم راو أخذ عنه المؤلف يقال فيه: رباعي في حكم الثلاثي، وهو أعلى ما عند أبي داود، وقد يطلق عليهم بعضهم الثلاثي، فيعدون أبا داود ممن روى ثلاثياً، صرح به السخاوي في شرح الألفية (ص ٣٣٧) أن لأبي داود حديثاً ثلاثياً، ولم يذكر أي حديث هو. ولم يقع لمسلم من هذا النحو حديث، وإنما وقعت له الرباعيات وهو أعلى ما عنده كما قدمنا. وكذلك أعلى ما يقع للنسائي الرباعيات، راجع فتح المغيث (ص ٣٣٧) والرسالة المستطرفة (ص ٩٧). كذا في اليواقيت الغالية (٣: ٣٤٠).

(٢٨) وقال في شرح قول الإمام مسلم في المقدمة 'فإنك يرحمك الله': هذا الخطاب فيما يظهر لي لأبي الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري، ثم رأيت الخطيب قال في ترجمة أحمد بن سلمة (٤: ١٨٦): رافق مسلم بن الحجاج في رحلته إلى قتيبة بن سعيد، وفي رحلته الثانية إلى البصرة، وكتب بانتخابه على الشيوخ، ثم جمع له مسلم الصحيح في كتابه. كذا في اليواقيت الغالية (٣: ٣٤٧).

(٢٩) وقال معلقاً على قول الإمام مسلم في بحث العنينة 'لم يحفظ عنهم سماع': قلت: هذا فيه نظر، فقد ثبت السماع لكثيرين كما بيناه مفصلاً. كذا في اليواقيت الغالية (٣: ٤٠٦).

(٣٠) وقال الشيخ في رسالته 'الماء المعين في ثبوت الأربعين': قد كثرت السؤال عن الأربعينة التي يذكرها أهل الدعوة والتبليغ ويسألون الناس أن يصرّفوا أربعين يوماً في تبليغ دين الله خالصاً لوجهه الكريم هل لتلك الأربعينة أصل؟ فأردت أن أكتب ما حصل لي من الدلائل على ذلك لتكون عُدّة لي وتذكّرة لمن أراد الله نفعه، فاعلم هداك الله أن أصل تلك الأربعينة في الكتاب العزيز. والرسالة مطبوعة في اليواقيت الغالية (٣: ٤٧٣). قال في آخرها: وقد ثبتت الأربعينة بالتوارث، فمن أنكرها فعليه أن ينكر التوارث. انتهى.

^١ رقم (٢٢٦٠).

^٢ رقم (٣٢٦٠) و ٣٣١٠ و ٣٣٥٦ و ٣٤٧٩ و ٤٢٩٢.

^٣ رقم (٤٧٤٩).

(٣١) وقال في 'جزء تخرج أحاديث أصول الشاشي' تحت قول المؤلف 'وجاء في الخبر أنه عليه السلام سئل عن متروك التسمية عامدا فقال: كلوه، فإن تسمية الله في قلب كل امرئ مسلم': قلت: لم أجد هذا الحديث. وأخرج الدارقطني (ص ٥٤٩) من طريق مروان بن سالم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله: رأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اسم الله على كل مسلم"، وفي لفظ: "اسم الله على فم كل مسلم". قال الدارقطني: مروان بن سالم ضعيف. قلت: وهذا فيمن نسي التسمية لا فيمن تركها عمدا. كذا في اليواقيت الغالية (٣: ٤٨٣).

(٣٢) وقال الشيخ في رسالته المفيدة 'جزء تحقيق الأحاديث التي وسمت بالوضع أو بالضعف في سنن أبي داود': قال العلامة البنوري في المعارف (١: ٣١٤): عبد الله بن عمرو بن غيلان روى له ابن ماجه حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم من آمن بي وصدقني وعلم أن ما بعثت به هو الحق من عندك فأقل ماله وولده وحب إليك لقاءك"، كذا في الإصابة والتهديب (٨: ٨٩)، انتهى. قلت: هذا وهم، إنما ذكره الحافظ وغيره في ترجمة عمرو بن غيلان- وهذا الحديث رواه ابن ماجه في الزهد (ص ٣١٤) من طريق أبي عبد الله مسلم بن مشكم عن عمرو بن غيلان الثقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ترجمة عمرو ذكره العسكري والبعثي وغيرهما. كذا في اليواقيت الغالية (٤: ١٨٤). وهكذا تعقب شيخنا في بعض التحقيقات الحديثية على الشيخ ناصر الدين الألباني (٤: ٣٢٢ و ١: ٣٦٣) وشيخ الإسلام ابن تيمية (٤: ٢٥٠).

(٣٣) وقال الشيخ: وأخرج الحاكم في مستدركه (٣: ٣) عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأمر بالهجرة، وأنزل عليه: وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، قال الحاكم: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. قلت: فيه نظر، فإن مداره على قابوس بن أبي ظبيان، وقابوس فيه لين، كما قال الحافظ ابن حجر في التقریب، وقال أحمد: لم يكن بذاك ولم يكن من النقد الجيد. وأحسن أحوال هذا الإسناد أن يكون حسنا. كذا في اليواقيت الغالية (٢: ١٥٨).

(٣٤) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١: ٩): وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة وكذا معظم كتب الرسائل، واختلف القدماء فيما إذا كان الكتاب كله شعرا، فجاء عن الشعبي منع ذلك، انتهى كلام الحافظ. علق شيخنا بخطه في حاشيته على الفتح: قلت: أخرج ابن أبي شيبة (٨: ٥٣١) عن حفص بن غياث عن مجالد عن الشعبي قال كان يكره أن يكتب أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم، وأخرج أحمد في تاريخه (٢: ٢٥٦ و ٢٦٩) حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي قال: أجمعوا أن لا يكتبوا أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم، قال أحمد: لم يسمعه هشيم عن مجالد، انتهى تعليق الشيخ.

(٣٥) وقال شيخ المشايخ المحدث الكبير مولانا خليل أحمد السهارنفوري في بذل المجهود (النسخة القديمة الهندية ٢: ٦) في بحث رفع اليدين: والسادس ما قال بعضهم من أنه يجوز أن ابن مسعود نسي الرفع في غير الافتتاح كما نسي وضع اليدين على الركب في الركوع. وأول من قال هذا القول أبو بكر بن إسحاق، نقل قوله البيهقي في سننه ثم ابن عبد الهادي في التنقيح، انتهى كلامه. علق شيخنا بخطه في حاشيته على البذل: قلت:

بل سبقه إلى ذلك أبو سليمان الخطابي المتوفى سنة ثمان وثلاث مائة، نقل عنه البغوي في شرح السنة (٢: ٢٥) وتابعه عليه، انتهى تعليق الشيخ. وقال الشيخ خليل أحمد (٢: ٢٤١) في شرح حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح على الراحلة أي وجه توجه: وهذا أمر اتفق عليه الأئمة، ولم يختلفوا فيه في السفر إلا في ابتداء التحريمة، فإن عند الشافعي يجب أن يتوجه إلى القبلة ثم يتوجه حيث شاء، انتهى كلامه. علق شيخنا عليه: فيه نظر، فإن الشافعي لم يشترط ذلك، ولو كان كذلك لذكره أهل مذهبه كالنووي والحافظ وغيرهما، بل هو مذهب أحمد وأبي ثور، ولكنه مستحب عندهما كما في الفتح (ص ٤٧٤) وراجع الأوجز (٢: ٨٥). انتهى تعليق الشيخ.

(٣٦) وقال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري في البذل (٢: ٢٣٣): وقد أطال الشوكاني الكلام في حديث ابن عباس في حمله على الجمع الصوري، انتهى. علق عليه شيخنا بخطه فقال: قلت: لكنه يتعلق بالجمع في الحضر، فترجم العلامة أبو البركات ابن تيمية في منتقى الأخبار (٣: ٢٦٠) باب جواز الجمع في السفر في وقت أحدهما، ثم ترجم: باب جميع المقيم لمطر أو غيره، وأورد تحته حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالمدينة سبعا وثمانيا، الحديث، وتكلم عليه الشوكاني بما لخصه الشارح. وأما الباب الأول فلم يذكر فيه هذا الكلام، بل قال (٣: ٢٦٤) بعد إطالة البحث في آخره: وهذه الأحاديث تخصص أحوال الأوقات التي بينها جبريل وبينها النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي حيث قال في آخرها: الوقت ما بين هذين الوقتين، انتهى. وهذا صريح في أن الشوكاني يرى الجمع في السفر حقيقيا. انتهى تعليق الشيخ.

(٣٧) وكتب شيخنا في تعليقه على البذل (٢: ١١) تحت حديث وائل بن علقمة: قوله 'فحدثني وائل بن علقمة' قال ابن حبان في صحيحه (٣: ٢٥٤): هذا وهم من محمد بن مجادة، والصواب علقمة بن وائل. انتهى تعليق الشيخ.

(٣٨) وكتب في تعليقه على البذل (٢: ٩٤) تحت حديث عائشة رضي الله عنها 'قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أحمد: يصلي، والباب عليه مغلق، فحُت فاستفتحت، قال أحمد: فمشى ففتح لي ثم رجع إلى مصلاه وذكر أن الباب كان في القبلة': استدلل به ابن حزم (٣: ٩٤) على أنه يجوز للمصلي أن يمشي لفتح الباب ولا يضر الصلاة شيئا. انتهى تعليق الشيخ.

(٣٩) وقال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد ابن راهويه المرزوي، انتهى. علق عليه شيخنا بخطه فقال: قوله 'أبو محمد بن راهويه' مما تفرد به ابن حجر في هذا الكتاب، وقد ذكر هو في تهذيب التهذيب كنية ابن راهويه أبا يعقوب. وهو الذي أطبق عليه الأئمة البخاري (١: ١: ٣٧٩) وابن حبان (٨: ١١٥) والخطيب (٦: ٣٤٥) والمزي في تهذيب الكمال (٢: ٣٧٣) والذهبي في تصانيفه السير والتذكرة (٢: ٤٦٣) والميزان (١: ١٨٢). انتهى تعليق الشيخ.

(٤٠) وقال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: علي بن سالم بن شوال، باسم الشهر، ضعيف، من السابعة، ق، انتهى. علق عليه شيخنا بخطه فقال: قوله 'علي بن سالم بن شوال باسم الشهر' كذا ذكر المزي في تهذيب الكمال (٢٠: ٤٤٦) اسم جده، وتبعه الذهبي في الكاشف (٢: ٤٠) وابن حجر في تهذيب التهذيب (٧: ٣٢٨)

وتقريب التهذيب واللسان والخزرجي في الخلاصة (ص ٣٧٩). وهو وهم، فإن جماعة من الأئمة كالبخاري (٣: ٢: ٣٧٨) والعقيلي (٣: ٢٣١) وابن حبان في الثقات (٧: ٢١١) لم يذكروا اسم جده أصلاً. وإن من ذكره كابن أبي حاتم (٣: ١: ١٨٨) وابن عدي (٦: ٣٤٨) فذكروا بدله 'ثوبان' بثلثة فواو فموحدة فألف فنون. وكذا ذكره عبد الغني في الكمال كما حكاه ابن الملقن، وهو أصل تهذيب الكمال، وكذا وقع عند ابن ماجه وعبد بن حميد وابن عدي والبيهقي في إسناد حديث عمر مرفوعاً: الجالب مرزوق والمحتكر ملعون، وكذا ذكره المزني في تحفة الأشراف (٨: ٢٦) والذهبي في مختصر المستدرک (٢: ١١). فالذي أظن أن قلم المزني سبق فكتب 'شوال' مكان 'ثوبان'، واعتمده من لخص كلامه فوقوعاً في الوهم، والله أعلم. انتهى تعليق الشيخ، والكمال طبع حديثاً فليُنظر.

والمواضع غير هذه كثيرة لا تحصى، نسأل الله تعالى أن يوفقنا وتلاميذ شيخنا لنشر علومه وطباعة مؤلفاته، آمين.

ومما يليق بالذكر زهد الشيخ واستغناؤه واهتمامه بأمور المسلمين واعتناؤه بالفقراء والمساكين، فإني لم أر أحداً في حياتي أشد استغناءً وزهداً وتوكلاً من الشيخ رحمه الله.

ذكرت في المؤتمر الذي انعقد بجامعة مظاهر العلوم بعد وفاة الشيخ أنه عاش فقيراً، كان فقره في البداية غير اختياري، وفي النهاية اختياريًا، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنى في زمرة المساكين يوم القيامة، رواه الترمذي (٢٣٥٢) والحاكم (٧٩١١) وصححه ووافقه الذهبي والمنذري، وبسط فيه الشيخ في البواقيت الغالية (٤: ٣٢٠).

ولما كنت أزوره في سهارنفور كان يرسلني إلى مظاهر العلوم جديد وإلى مظاهر العلوم قديم بمئات الآلاف من الروبية وكان يقول لي: "تصدق بها عني أنت واكتب اسمك ولا تخبرهم بأنهم عني."

ومنذ بضع سنوات أمر الأخ أجمل السهارنفوري أن يتصدق عنه بشاة كل يوم.

ومنذ سنوات عديدة لم يكن الشيخ ينام على السرير في غرفته بجامعة مظاهر العلوم، وهكذا كان دأبه في الحرمين الشريفين، كنت معه في شقق الشيخ بكر بن لادن في مكة المكرمة بجوار بيت الله الحرام، لكن الشيخ اختار النوم على الأرض ولم يسترح على السرير.

وكان دائماً يتصدق بجميع الهدايا التي حصل عليها من انكلترا والسعودية لتحفيظ القرآن الكريم.

وفي السفر الأخير في شعبان ١٤٣٨هـ بلغ مجموع الهدايا إلى الآلاف من الجنيه البريطاني والدولار والريال السعودي، فتصدق بها كلها لتحفيظ القرآن في السعودية ولم يأخذ معه جنيهاً واحداً إلى الهند. وهكذا كان يفعل كل سنة ممتثلاً بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما روى البخاري (٦٤٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر علي ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصده لدين."

وفي إحدى زيارته إلى بريطانيا أخبرته بأن أحد تلاميذه مديون، ففي نهاية السفر جمع الهدايا التي بلغ مجموعها ألف جنيه وأهداها كلها إليه.

وفي إحدى زيارته مرض مرضا شديدا، فتشاورنا أن نبلغ الهدايا إلى سهارنفور وكانت ثلاث ألف وخمس مائة جنيه. فبعد أشهر ذهبت إلى سهارنفور وعرضتها على الشيخ، فأبى وقال: "لا أريدها بل خذها أنت"، فقلت: "كيف وهي لك؟"، وكانت زوجتي معي، فقال لها: "خذها واستخدمها في زواج بناتك"، الله أكبر! هذا هو شيخنا الذي لم يتمكن من شراء الدواء للعلاج في بداية حياته، ولم يتمكن من شراء الورق في بداية تدريسه فكتب الحواشي على البطاقات البريدية والمغلفات وقطع الورقات، والذي كان يقول لي: "سبير! اطبخ هذه الدجاجة واستخدمها لعدة أيام ولا تطبخها في يوم"، والذي لم يأكل لثلاثة أيام بسبب الفقر واستمر في مطالعة الكتب، والذي لم يملك إلا قصعة واحدة لعدة سنين، واستخدمها للطبخ والأكل والشرب وغسل الثياب.

وبالجملة عاش زاهدا فقيرا ومات زاهدا فقيرا، كان جوده أكثر من الریح المرسلّة.

كان وقافا بكتاب الله تعالى، متبعا للسنة، محبا للكتب، قوالا للحق، عالما متبحرا تقيا نقيًا ورعا، هكذا نحسبه ولا ننزي على الله أحدا.

وعندما بلغني وفاة الشيخ صباح يوم الإثنين السابع عشر من شوال ١٤٣٨هـ الموافق لـ ١١ يوليو ٢٠١٧م في الساعة الخامسة حسب التوقيت البريطاني، حجزت التذكرة وسافرت إلى الهند على الفور، لكن لم تقدر على الوصول لصلاة الجنازة. وكذا لم يقدر على الوصول إلا من كان قريبا من سهارنفور، فلم يبلغ كثير من تلاميذه من كجرات ولا من المناطق الأخرى، حتى لم يقدر أبناء أخيه أن يشاركوا في صلاة الجنازة والدفن.

وصلى عليه مولانا الشيخ محمد طلحة ابن الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بعد صلاة العصر ودفن بمقبرة حاجي شاه بجوار ضريح الشيخ أسعد الله الرامفوري وفقا لأمنيته. وحُزر عددٌ من صلى عليه بمليون، وقيل: حوالي نصف مليون، ولعل هذا أقرب إلى الصواب.

ذكرني هذا قول الإمام أحمد رحمه الله: "قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز"، رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ٥٦٠). وروى ابن الجوزي أن عدد من حضر في جنازة الإمام أحمد ثمان مائة ألف شخص ببغداد.

ولما توفي شيخ الإسلام ابن تيمية في دمشق وكان محبوبا حُزر عددٌ من حضر في جنازته بستين ألف وأكثر إلى مائتي ألف رجل حسب ما ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤: ١٣٦) والحافظ ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤: ٥٢٧)، وقال الحافظ عمر بن علي البزار في الأعلام العلية (ص ٨٤): كانوا أكثر من خمس مائة ألف، انتهى، وكان الشيخ يجب هذين الشيخين كثيرا كما لا يخفى على من عرفه وصحبه.

ولما وصلنا إلى سهارنفور بعد دفنه شاهدنا الأحذية والنعال في الطريق كما نشاهدها عادة في مشاهد الحج والعمرة.

وجاء كثير من المشايخ والأحباء من داخل الهند وخارجها، واتصل بي كثير من المشايخ وتلاميذ الشيخ من العرب والعجم للتعزية، وورثاه المشايخ وطلبة العلم من بلاد شتى.

وبحمد الله تعالى وكل إلينا شيخنا مولانا محمد سلمان مدير جامعة مظاهر العلوم أن نشرف على توزيع الميراث، فقمنا به والحمد لله الذي يسر الأمر.

أما كتب شيخنا التي جعلها وقفًا فقررنا بعد المشورة مع المدير مولانا محمد سلمان بقيام مكتبة الشيخ محمد يونس الجونفوري في نفس الغرفة، فبدأ العمل لهذا المشروع على الفور.

وما جرى بعد وفاة شيخنا يذكرنا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ”إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض“، رواه البخاري (٦٠٤٠). وبحديث سهل بن سعد الساعدي قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله: ”دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبنى الناس“، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”أزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس“، رواه ابن ماجه (٤١٠٢)، وفي سنده خالد بن عمرو القرشي والكلام فيه معروف.

اللهم ارزقنا حسن الختام، واحشرنا في زمرة سيد الأنام، واغفر لشيخنا وأبلغه دار السلام، برحمتك ومنك يا ذا الجلال والإكرام.

أملاه شبير أحمد البريطاني في يوم الثلاثاء ١٧ ذى القعدة ١٤٣٨هـ الموافق لـ ٩ اغسطس ٢٠١٧م، خادم الحديث والسنة النبوية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.